

Oman, A History

By

Wendell Philips

London, 1968

اسم الكتاب :

اسم المؤلف :

لعل وندل فيليبس يضيف في كتابه هذا اضافة جديدة للمصادر التي تعرضت لداخلية عمان ، وهو يشابه في ذلك جيمس موريس في كتابه الذي أصدره قبل ذلك بسنوات بعنوان « سلطان في عمان » . ولكن وندل فيليبس يدين برأى آخر وهو الأخذ بوجهة نظر السلطنة بالنسبة لسيطرتها على عمان الداخلية .

والمؤلف بحكم وظيفته مستشارا اقتصاديا لسلطان مسقط وبحكم جنسيته أيضا يتخذ هذا الرأي ويديه في فصلين هامين من كتابه وهما الفصل السابع الذي يعرض فيه الى مشكلة البوريمي والفصل الثامن الذي يتعرض فيه الى ثورة الجبل الأخضر .

وفي كلا الفصلين يؤكد سيطرة السلطنة على البوريمي وداخلية عمان ويتخذ موقفا معارضا للسعودية في تأييدها لثورة الامامة وفي ادعاءاتها على واحات البوريمي داخضا بذلك جميع ما قدمته السعودية من أوله ومفندا ما قدمته شركة الزيت العربية الأمريكية من تأكيدات لصالح السعودية وذلك في الأبحاث التي نشرتها خاصة بذلك .

والكتاب على الرغم من أننا لا نستطيع أن نسلم بوجهة نظر مؤلفه التي يظهر فيها اتخاذ جانبا واحدا فضلا عما يتعمده من تضخيم شأن حادثة أو التهوين من شأن أخرى مما يجعل كتاباته تحتاج الى تحقيق في وقائعها المختلفة الا أن الكتاب مع ذلك يعد في تقديرنا الخاص واحداً من الدراسات الهامة عن تاريخ عمان اعتمد فيه على عدد كبير من المصادر الأولى ويزيد من أهمية ذلك رحلاته الكثيرة الى عمان الداخلية التي أفرد لها مؤلفا خاصا نشره في عام ١٩٦٧ بعنوان

Unknown Oman

وينقسم الكتاب الى تسعة فصول ، شملت الفصول السبع الأولى مسحا عاما لتاريخ عمان وعلاقته بشرق افريقية . فقد عالج في الفصل الأول تاريخ عمان القديم قبل ظهور الاسلام ثم عمان في العهد الاسلامى ، وهذا الفصل قد يهم بصفة خاصة المهتمين بالتاريخ الاسلامى بالنسبة لأحد أقاليم الجزيرة العربية . وقد ركز في هذا الفصل على تزعم عمان حركة المعارضة ضد الدولتين الأموية والعباسية وظهور هذه المعارضة في شكل حركتين سياسيتين دينيتين لقيتا انتشاراً كبيراً في عمان وهما الحركة الإباضية التى قدر لها أن تلعب دوراً هاماً في تاريخ عمان القديم والحديث وحركة القرامطة التى امتدت من البحرين الى عمان وان كانت لم تصب قدراً من النجاح مثلما أصابته الحركة الأولى . وفى هذا الفصل يركز المؤلف أيضا على اقليم ظفار ويبدو من تأكيده على تاريخ الاقليم فى أكثر من فصل من فصول الكتاب أنه جزء لا يتجزأ من عمان . ولعله يتعمد ذلك مناهضة للدعوة التى ظهرت فى الأونة الأخيرة بشأن ضم ظفار الى جمهورية جنوب اليمن المستقلة حديثا .

أما الفصل الثانى فقد عالج فيه المؤلف الامبراطورية العمانية فى شرق افريقيا وقد عنى بصفة خاصة بتتبع مراحل انشائها مشيرا بصدد ذلك الى الهجرات العربية على الساحل الشرقى لافريقيا ومعتمدا على كتابات المصنفين العرب التى يفهم منها مدى ما كان عليه العرب من تفوق ملاحى وتجارى فى المحيط الهندى ، وان كان غزو البرتغال فى نهاية القرن الخامس عشر قد أطاح بهذا التفوق . وقد استمر البرتغاليون القوة المسيطرة فى الخليج وشرق افريقيا حتى بداية القرن السابع عشر حينما بدأوا يتعرضون لتحديات قوية من قبل الهولنديين والانجليز بالاضافة الى أن قوتهم الذاتية تعرضت للاضمحلال وأصبح المجال ميسرا للامام ناصر بن مرشد الذى أسس الأسرة اليعروبية لطرد البرتغاليين من عمان ، ثم يكمل خليفته سلطان بن سيف الدور الذى قام به فى التخلص من بقايا السيطرة البرتغالية فى الخليج وشرق افريقية .

ثم ينتقل المؤلف فى الفصول التالية الى تأسيس أسرة البوسعيد وهى الأسرة التى خلفت أسرة اليعاربة فى الحكم عارضا بصفة خاصة لأقوى حكامها سعيد بن سلطان أو ما أسماه سعيد الكبير اذ أفرد له فصلا خاصا معتمدا فيه على مؤرخى سيرته من العرب والسواحليين والأوربيين ويتفق مع هؤلاء فى أنه كان واحدا

من أهم الشخصيات التي أنجبتها الجزيرة العربية منذ عهد النبي . ويؤكد بصفة خاصة على الدور المجيد الذي قام به بشأن التشريعات التي أصدرها للحد من تجارة الرقيق في الممتلكات التابعة له ، وإن كنا نجد تحاملا واضحا من المؤلف على القسوة والعنف التي أدان بها التجار العرب بالنسبة لمعاملتهم لارقائهم اذ رسم صورة كئيبة لوسائل تعذيبهم ولأسواق الرقيق التي كانت منتشرة في كل من مسقط وزنجبار . ولذلك فقد أثنى على السيد سعيد تعاونه مع الانجليز للحد من تجارة الرقيق على الرغم من أنه كان يعد أكبر تاجر رقيق في عصره ، وقد استمرت التجارة قائمة في الشرق الافريقي حتى أوائل القرن الحالى وإن كان ذلك على نطاق محدود وغير رسمى .

ولم يكن ما تميز به سعيد بن سلطان من السجايا الانسانية قاصرا على الحد من هذه التجارة البشعة وإنما تميز الرجل بسماحته واستنارته ، وكان ذلك عوناً لدفع عمليات التبشير والارتياح الأوربي اذ تحققت في عهده عدة اكتشافات جغرافية هامة كاكشاف الأوربيين لجمال كينيا وكليمنجارو والبحيرات الاستوائية ، كما اشتهر في عهده المبشر لوديج كرايف الذى يقترن اسمه بترجمة الانجيل الى اللغة لسواحلية .

ويمضى الكتاب بتتبع تاريخ عمان بعد انفصاله عن زنجبار حتى يركز على الحديث الهامين اللتين شهدتهما عمان فى الآونة الأخيرة وهما المشكلة الخاصة بالبوريمى ثم انفجار ثورة الامامة الأباضية فى عمان الداخلية .

وكما سبق أن ألمحنا فى بداية عرضنا للكتاب أن المؤلف يأخذ وجهة نظر السلطنة من ذلك تأكيداً أن اتفاقية السيب المؤرخة فى عام ١٩٢٠م والتي ارتكزت عليها الامامة فى مرحلتها الأخيرة كانت اتفاقية بين حكومة السلطان تيمور وبين ثمانية عشر من الشيوخ الثائرين فى الداخل ، ولا تعنى اطلاقاً أنها تربط خلفاء السلطان تيمور بها وهذا رأى سبق لنا أن ناقضناه فى بعض دراساتنا .

أما البوريمى فيؤكد المؤلف خضوعها لعمان استناداً على الأصول التاريخية التى تربط الاقليم بعمان . ويبدو من كتاباته اعتماده فى جانب كبير على تنفيذ عرض الحكومة السعودية للتحكيم فى تسوية النزاع الاقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية وهى مجلدات ثلاث قدمتها الحكومة

السعودية في عام ١٩٥٥ لمحكمة العدل الدولية عند مناقشة المشكلة في ذلك العام ، وأخذه بوجهة نظر المذكرة البريطانية المقدمة من قبل الحكومة البريطانية معارضة للادعاءات السعودية .

ويؤكد وندل فيلبس بصدد ذلك على تبعية البوريمي لعمان منذ العصور الاسلامية وعن استقرار قبيلة النعيم التي هاجرت من اليمن الى البوريمي في النصف الأول من القرن السادس عشر وعن ارتباط البوريمي بعمان خلافا لبعض الفترات التي تعرضت فيها الواحة للمناوشات السعودية عقب انتشار الدعوة الوهابية بين سكانها خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الى أن خضعت الواحة لحكومة مسقط في عهد امامة عزان بن قيس ١٨٦٨ / ١٨٧١ . ولم يلعب السعوديين دورا يذكر في تاريخ الواحة من ١٨٦٩ حتى ١٩٥٢ باستثناء بعض الفترات التي قام بها عبد الله بن جلوى الحاكم السعودي في الاحساء بارسال عملائه لجباية الزكاة .

ويذهب المؤلف في رأيه أن تضخم مشكلة البوريمي ترجع الى تصادم المصالح الاقتصادية فضلا عن أن المشكلة ظهرت في وقت ما في صورة صراع بين القومية العربية وبين الامبريالية خاصة وأن اذاعة القاهرة لعبت دورا بارزا خلال هذه الأزمة .

أما دراسة فيليبس لثورة الجبل الأخضر ، فاعتقادنا الشخصي بصرف النظر عن نوازع المؤلف أو آراءه فيما يختص بهذه الثورة ، انها تضيف اضافة جديدة للمتبعين لتاريخ الامامة خاصة وأن اهتم اهتماما كبيرا بتفصيل الصراعات الداخلية بين الهناوية والنافرية وبعض رؤساء المقاطعات العمانية كسليمان بن حمير وصالح بن علي ... هؤلاء الذين كانوا — كما يقول المؤلف — يأملون في استغلال الموقف لتحقيق ملك مستقل عن الامامة والسلطنة معا .

وقد ذيل المؤلف كتابه ببعض الملاحق أهمها قيام الثورة في زنجبار في ديسمبر سنة ١٩٦٣ التي أدت الى انهيار وضع سلطنة زنجبار وقيام الجمهورية ، ولعله

